السوريون... والموت البطيء
الكاتب : حسن سالم
التاريخ : 18 ديسمبر 2013 م
المشاهدات : 7051

لم يعد الموت والهلاك بالقصف والقذيفة والرصاص والبارود على يد النظام الأسدي ما يهدد حياة السوريين وأرواحهم، بل بات الموت والجحيم يجدان أكثر من طريق في تهديد حياتهم وسلبهم أرواحهم.

يصبح السوريون وهم يتخوفون من مسائهم يعيشون يومهم وهم يتخوفون من غدهم، الجحيم يلاحقهم، والهموم تحاصرهم، في ظل انعدام أي ملامح لمستقبل مطمئن وآمن.

هرب أكثر من مليونَي سوري حتى الآن من الغارات والقصف والدمار، بحثاً عن ملجأ من النزاع الدامي الذي يمزق بلادهم منذ أكثر من 33 شهراً، إلا أن المأساة تبعتهم أينما حلّوا، من لعنة الحرب وذل اللجوء إلى معاناة الشتاء البارد القارس الذي بات يهدد حياتهم.

فهم في هذه الأجواء يعانون من كابوس الموت البطيء أو الموت شبه الأكيد، إذ يواجه الأطفال السوريون وعائلاتهم ثالث شتاء بكل ما يحمله من ظروف ومعاناة قاسية وبائسة لا نهاية لها، وكل شتاء يأتي يكون أسوأ من الذي سبقه، نتيجة زيادة أعداد اللاجئين وارتفاع الضغط على الخدمات في الملاجئ، والشح الشديد في المواد الغذائية، وضعف الرعاية الطبية، وندرة وسائل التدفئة والأغطية، وسوء وضع الخيام في تلك المخيمات...

ففي لبنان وحده يقطن في هذا البلد الصغير، ذي الموارد المحدودة، نحو مليون لاجئ سوري، وهو ما يوازي ربع عدد سكان لبنان، نصفهم من الأطفال، إذ يجد عشرات الآلاف من اللاجئين أنفسهم في مخيمات عشوائية على أراضٍ تغمرها المياه والثلوج، مع بدء فصل الشتاء واشتداد العواصف في خيام بعضها يقتصر سقفه على أكياس «بلاستيكية»، وفي أراضٍ تتحول إلى حقل من الوحل عند أول هطول للمطر.

بل وهناك عائلات ليس لديها حتى خيمة تؤويها، وبلغ بهم الحال بأن يكون أقصى هموم كل فرد منهم في الوقت الراهن هو تأمين عود الثقاب «الوقود»، الذي يشعل به ألسنة من اللهب، ليستطيع نزع وشاح برد الشتاء الذي أصبح يهدد بالقضاء على حياة الأطفال وكبار السن وأرواحهم، حتى الأحذية التي تقيهم البرد والمشي في الوحل، تمت التضحية والرمي بها في

المدفأة، لعدم امتلاك بعضهم «المازوت»، لأجل الحصول على التدفئة، وهو ما يصل إلى حد الشعور بالاختناق في تلك الخيام.

يموت الأطفال هناك كما تقول الروائية الأردنية منى الشرافي تيم من شدة البرد، والناس من حولهم أحياء وموتى بمشاعر جليدية لا تدفئها النيران!

فقبل أيام عدة، قضى البرد والشتاء على حياة الطفل الرضيع محمد رعد الذي لم يتجاوز الشهر الثالث من عمره هناك، بعد أن أصيب بالحمى واختناق التنفس، وعجز أهله عن تأمين التدفئة الكافية وإسعافه خلال العاصفة التي ضربت المنطقة، ولم يستطع ناشطو الصليب الأحمر حتى في الوصول في الوقت المناسب، بسبب تراكم الثلوج.

لقد لفظ أنفاسه الأخيرة في حضن والدته التي حاولت بكل ما تملك أن توفر التدفئة له ولكن من دون جدوى.

يحدث ذلك أمام مرأى ومسمع من دول العالم كله، ووسط شعور بالقلق الشديد من المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، بأن الأجواء شديدة البرودة في منطقة البقاع، والملاجئ فيها دون المستوى المطلوب.

في هذا الوقت أعلنت غالبية المنظمات الخيرية العربية والغربية تحركها واستنفارها في إغاثة اللاجئين السوريين، ومنها:

حملة ليان، وهي حملة خليجية مستقلة معنية بإغاثة اللاجئين السوريين في لبنان، استوحت اسمها من اسم رضيعة سورية، توفيت في شهرها السابع بعد تدهور حالتها الصحية لمعاناتها من مرض قلبي، وعلى رغم قيام والديها بتكلف المصاعب واجتياز المعابر، وصولاً إلى الحدود اللبنانية، إذ طلبا المعونة والنجدة، ولكن لم تصل النجدة إلا ولفظت ليان أنفاسها الأخيرة في ظل عدم وجود عناية طبية وإغاثية للاجئين.

فليان لم تمت بل أحيت حملة خليجية، لأجل تقديم العون والمساعدة للاجئين السوريين في شمال لبنان، ويساهم في دعم هذه الحملة الكثير من الإعلاميين والمثقفين والمهتمين بالعمل الخيري من الخليج والعالم العربي، وكل فرد منا في إمكانه الدخول على موقع الحملة على الإنترنت والاطلاع على أنشطتها، وفي إمكان كل واحد أن يتبرع لها عبر الموقع الإلكتروني بأي مبلغ كان ومن أي مكان.

وأطلقت أخيراً حملتها بشعار «العطاء هو الدفء... خبئهم من البرد القارس»، وهذا أقل ما يمكن أن نساهم به في تخفيف عبء المعاناة عنهم، وتذكر ما قاله الراحل محمود درويش: «وأنتَ تعودُ إلى البيت، بيتكَ، فكِّر بغيركَ، لا تنس شعب الخيام، وأنت تنام، وتُحصي الكواكبَ، فكِّر بغيركَ، ثمّةَ مَنْ لم يجد حيّزاً للمنام، وأنت تفكر بالآخرين البعيدين، فكِّر بنفسك، قُلْ: ليتني شمعة في الظلام».

الحياة

المصادر: